BITARA
Volume 2, Issue 2, 2019: 001-015
© The Author(s) 2019
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com

التعليم العتيق الحر بسوس المغرب نظامه ومناهجه

Free Antique Education in Morocco, System and Methods

Al-Hassan Lahbabi Muhammad[1] & Daud Ismail[1] & Roslan Ab Rahman[1]

الملخص

استأثر التعليم العتيق المنظم في سوس باهتمام الكثير من الباحثين والدارسين، في جميع الحيثيات، أما التعليم العتيق الحر فلم يستوف حقه، والدراسات حوله قليلة، مقارنة بالتعليم العتيق النظامي، وكادت تنحصر في تاريخ مدارسه وأدوارها. فإن هذا المقال يقوم بدراسة نظامه التعليمي، ومناهجه الدراسية، وطرقه التعليمية، كما يروم إلى إبراز خصوصياته الإيجابية والسلبية معا بجانب تقديم الاقتراحات المهمة للنهوض به، معتمدا في جمع مواده على المنهج الاستقرائي، حيث تتبع مواده في بطون الكتب والمجلات، وجمعت المعلومات المتعلقة به من هذه المصادر، مستعينا في تحليلها بالمنهج الوصفي تقريرا للمتغيرات والوقائع. فهذه الدراسة تشير إلى أن هذا النوع من التعليم يعد أقدم تعليم عرفه المغاربة قاطبة، وأنه مر على مراحل البداية والازدهار والركود، وعاد إلى الازدهار مرة أخرى بعد أن تولت وزارة الأوقاف للشؤون الإسلامية القيام بإصلاحه والإشراف عليه، وأدخلت إلى منظومته الدراسية مواد عصرية، ولغات أوربية. إلا أن بعض مدارسه مازالت مستقلة، ولم تنخرط في النظام الجديد.

مفاتيح البحث:

التعليم العتيق، التطور الزمني، بلاد المغرب.

Abstract
The organized Antique education in Sous captured the interest of many researchers and scholars, in all cases, as for the free antique education did not fulfill its right, and studies about it are few, compared to the regular old education, and it is almost confined to the history of its schools and their roles. This article studies its educational system, curriculum, and educational methods, and aims to highlight its positive and negative characteristics together, besides providing important suggestions for its advancement, relying on the collection of its materials on the inductive curriculum, as its materials are followed in the content of books and magazines, and information related to it is collected from these sources, using the descriptive approach to analyze them, report variables and facts. This study indicates that this type of education is the oldest education that Moroccans have ever known, and that it passed through the stages of beginning, prosperity and stagnation, and returned to prosperity again after the Ministry of Endowments for Islamic Affairs undertook its reform and supervision, and introduced modern materials and European languages to its educational system. However, some of its schools are still independent, and have not joined the new system.

Keywords
Antique education, chronological development, Maghreb countries.

Cite This Article:
Al-Hassan Lahbabi Muhammad & Daud Ismail & Roslan Ab Rahman. 2019. Al-Ta'lim al-'atiq al-harr bi sus al-Maghrib nazafat wa munahajahu [Free Antique Education in Morocco, System and Methods]. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 2(1): 1-15.

[1] Universiti Sultan Zainal Abidin, Terengganu, Malaysia.

Coressponding Author:
Roslan Ab Rahman, Universiti Sultan Zainal Abidin, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, Malaysia.
Email: roslansbr@unisza.edu.my

المقدمة

إن منطقة سوس معروفة بالتعليم العتيق، وعامرة بمدارسه العلمية والقرآنية، منذ القرن الهجري السابع والثامن إلى اليوم، منها ما اندثر وتلاشى، ومنها ما انطفأت شعلتها وقل مفعولها وأهميتها، رغم أنها أضحت قبلئ منهلا للعلم والأدب، ومنها ما لازال باقيا يؤدي دوره العلمي والأدبي إلى يومنا هذا (أفا، الحسين 1996: 61).

وتمتاز هذه المنطقة عن غيرها من المناطق المغربية، بكثرة هذه المدارس التي يربوا عددها على مئتي (200) مدرسة عتيقة، والأسر العلمية التي تسلسل فيها العلم في جيلين أو ثلاثة أجيال، وأزيد من عشرين (20) خزانة حافلة بالمخطوطات المهمة (السوسي، محمد المختار. سوس العالمة 2012: 113). مما أهل سوس لتلقب بسوس العالمة. وأول مدرسة ظهرت في سوس، هي مدرسة أجلو، التي كانت تسمى رباطا، أسسها سيدي وجاج بن زلو، بعد تخرجه من القيروان، على يد أبي عمران الفاسي، أول القرن الهجري الخامس. قال السوسي: "لا أستحضر الآن أنني رأيت ذكر مدرسة بسوس في كتب التاريخ التي مرت بين عينيَّ قبل المدرسة الوكاكية بأكلو، التي تخرج منها عبد الله بن ياسين التمنارتي، وكانت تسمى رباطا، والمنقطعون إليها يسمون المرابطين، ومن هنا اقتبس ابن ياسين هذا الاسم (السوسي، محمد المختار د،ت: 121 – 153)."

نبذة عن سوس

سوس أو السوس الأقصى، هي منطقة شاسعة في جنوب المغرب، كانت سابقا موحدة، وفي إطار الجهوية واللامركزية التي اعتمدها المغرب مؤخرا، تم بموجبها تقسيم المملكة إلى اثنتي عشرة جهة، عوض ست عشرة جهة، أصبحت سوس بموجب ذلك تتقاسمها جهتا سوس ماسة، وكلميم واد نون. هذا ولقد اختلف المؤرخون في تحديد سوس جغرافيا، فحددها ابن خلدون بما وراء مراكش، لتشمل تارودانت وسهول سوس، وإفران بالأطلس الصغير (ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد 2000: 200 – 201). وعلى منوال ابن خلدون في تحديد سوس، سار عبد الواحد المراكشي، وهذا نصه: "فمراكش هذه آخر المدن الكبار بالمغرب المشهورة به، وليس وراءها مدينة لها ذكر، وفيها حضارة، إلا بليدات صغار بسوس الأقصى، فمنها مدينة صغيرة تسمى تارودانت، وهي حاضرة سوس، وإليها يجتمع أهله، ومنها مدينة صغيرة تدعى زجندار، وهي على معدن الفضة، يسكنها الذين يستخرجون ذلك المعدن، وفي بلاد جزولة مدينة هي حاضرتهم أيضا تسمى نول لمطة، فهذه المدن التي وراء مراكش (المراكشي، عبد الواحد 1978: 508). وقد ذهب الوزاني في كتابه "وصف إفريقيا" إلى حصر سوس في الناحية الواقعة وراء الأطلس الكبير من الجهة الجنوبية، وهذا نصه: "سأتعرض الآن لناحية سوس الواقعة وراء الأطلس إلى الجهة الجنوبية المقابلة لبلاد حاحة؛ أي في أقصى إفريقيا، تبتدئ غربا من المحيط، وتنتهي جنوبا في رمال الصحراء، وشمالا في الأطلس عند حدود حاحا، وشرقا عند نهر سوس، الذي سميت به هذه الناحية (التازي، الحسن بن محمد 1983: 113).

وبهذا التحديد أخذ علامة سوس ومؤرخها المختار السوسي، إذ يقول في كتابه "سوس العالمة": "نعني بسوس في كل أعمالنا التاريخية في هذا الكتاب وغيره، ما يقع من سفوح درن الجنوبية، إلى حدود الصحراء من وادي نون وقبائله، من تكنة والركائبات وما

إليها، إلى حدود طاطا وسكتانة(السوسي، محمد المختار. سوس العالمة 1960: 16)". بهذا الاستعراض لآراء المؤرخين القدامى والمعاصرين في التحديد الجغرافي لمنطقة سوس يتبين للناظر أن سوس تقع في جنوب المغرب، وتتقاسمها جهتا سوس ماسة، وكلميم واد نون، يحدها غربا؛ المحيط الأطلسي، وجنوبا؛ طانطان، وشمالا؛ جهتا مراكش أسفي، ودرعة تافيلالت، وشرقا؛ الحدود الجزائرية المغربية.

مدارس التعليم العتيق الحر بسوس

إذا كانت ظاهرة بناء المدارس التعليمية وتشييدها قد ظهرت بالمشرق، في القرن الخامس الهجري، إبان العصر العباسي، مع الوزير نظام الملك الذي أسس مدرسته العلمية ببغداد، وهي أول مدرسة في الشرق، فقد ظهرت بالمغرب أيضا في القرن نفسه، في عهد المرابطين، مع يوسف بن تاشفين، فقد ثبت أنه بنى مدرسة علمية بفاس تعرف بمدرسة الصابرين (كنون، عبد الله 1960: 75). كما ظهرت في سوس كذلك مدرسة سيدي وجاج بمنطقة أجلو، ضواحي تزنيت، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجري أيضا. قال المختار السوسي: "إن أول مدرسة عرفت في بوادي المغرب الإسلامي هي مدرسة أجلو بناحية تزنيت، وذلك في أوائل القرن الخامس الهجري، وربما كانت قبلها مدارس أخرى وإن كنا لا نعرف عنها شيئا الآن، ثم توالت قرون وأجيال، والمدارس تشاد في السهول والجبال، إلى أن نيفت على المئتين (السوسي، محمد المختار. سوس العالمة 1960: 154)."

مفهوم المدرسة العتيقة: يقصد بالمدارس العتيقة بالمغرب، تلك المدارس الدينية التقليدية الأصيلة، التي انتشرت في المغرب عموما، وسوس خصوصا، منذ الفتوحات الإسلامية حتى الآن. تعرف الدكتورة رشيدة برادة المدرسة العتيقة بأنها: "بناية كانت تحبس لمزاولة التعليم، وإيواء الطلبة الذين كانوا يفدون عليها قصد التعلم من مختلف أنحاء البلاد (برادة، رشيدة 2007: 135)."

وأول من وصف المدارس الدينية التقليدية في المغرب بالعتيقة، هو علامة سوس محمد المختار السوسي، في كتابيه: "مدارس سوس العتيقة" و"سوس العالمة"؛ لتمييزها على المدارس العصرية، كما أشار إلى ذلك اليزيد الراضي، في الحوار الذي أجراه معه عبد السلام الأحمر، حول واقع التعليم العتيق، فقال: "من وصف التعليم العتيق بالعتاقة، أخذ وصف التعليم الذي يمارس فيها الوصف نفسه، فقيل: التعليم العتيق، والمراد به –كما لا يخفى – التعليم الذي يمارس في مدارس المغرب القديمة، وهو مقابل للتعليم العصري، أو الرسمي أو النظامي (الأحمر، عبد السلام 2005: 35)" قال يحي أحمد بن علي التجاجتي: "هذا الوصف – في نظري – أوقع في النفس، وألذ في الذوق، فهي من العتق؛ يعني الصلاح، والكرم، والشرف. وعليه، فالوصف طابق الموصوف ولا حاجة إلى استبداله بوصف آخر، إلا على وجه التعسف والتكلف(التجاجتي، يحيى أحمد بن علي 2008: 23)."

إن المدرسة العتيقة مؤسسة تقليدية جامعة لشتات المعارف، قد تتسع دلالتها لتشمل المدارس القرآنية التي يدرس فيها القرآن الكريم بحرف أو بأكثر من حرف، ولكنها تنصرف غالبا إلى المدارس التي يتلقى فيها الطلبة مختلف المعارف تدرجا، من المستوى الابتدائي وصولا إلى المستوى الجامعي، وكانت قديما توفر لطلبة العلم جميع ما يبغونه من معارف عصرهم، من العلوم الدينية واللغوية، إلى علوم التاريخ والجغرافيا والطب والفلك وغيرها، أما حاليا فيقتصر عطاء كثير من هذه المدارس على العلوم الشرعية واللغوية، إضافة

إلى مبادئ علوم الفلك والحساب والمنطق، إلا قلة قليلة منها التي مازالت تقدم – علاوة على ما سبق – علوم الفلك، كمدرسة سيدي وجاج بسوس.

أدوار التعليم العتيق الحر بسوس

للتعليم العتيق الحر– بالمغرب عموما، وسوس خصوصا،– مجموعة من الأدوار التي أدتها قديما وتؤديها حديثا، وهي:

الدور الديني، تلعب المدرسة العتيقة دورا كبيرا في الوحدة الدينية للأمة المغربة، من خلال تعليم النشئة الواجب من الدين بالضرورة، وتعليم المجتمع كله أمور دينه، كما تقوم بنشر الوسطية والتوعية الدينية بين أفراده، وصيانة الشباب من الأفكار المتطرفة العابرة للقارات، والمذاهب الضالة الوافدة من الشرق والغرب، من خلال ما يقدمه أعلامها من شرح وبيان لمخاطر هذه المذاهب وتلك الأفكار، ومن خلال التزامهم بالعقيدة الأشعرية التي عرفها المغرب منذ عهد المرابطين، ووجد فيها المغاربة ما أجاب إجابة مقنعة عن تساؤلاتهم، وبالتصوف العملي السني الذي يستهدف تنقية الباطن، وتطهير القلوب، وتزكية النفوس، عن طريق تحويل العلم إلى عمل، والإكثار من العبادات القولية والفعلية (لمين، مبارك بن الحسن 2013: 149 – 153) و (الراضي، اليزيد: 55 – 56).

الدور المذهبي، من أسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب، وتشبث المغاربة به حكومة وشعبا، منذ القدم حتى اليوم، رعاية المدرسة العتيقة هذا المذهب، وتقديم خدمات جليلة له، من تحفيظ متونه لطلبة المدارس، وتعليمهم أمهات كتبه، والتزام علماء هذه المدارس بالمذهب المالكي دراسة وتدريسا وإفتاء وقضاء (التجاجتي، يحي أحمد بن علي 1996: 46 – 47).

الدور التعليمي والتربوي، تعد المدرسة العتيقة أكبر مساهم في تنوير المجتمع المغربي بنور العلم والمعرفة، وبناء الثقافة العربية الإسلامية في المغرب، كما أن لأعلامها أدوارا في إبداع الفكر، وتوسيع آفاق المعرفة في شتى مجالاتها العلمية والأدبية والفنية وغيرها. وكانوا يوازنون بين التلقين الشرعي والتربوي كل يوم، ويقيمون الاحتفالات الدينية في مناسبات الأعياد، وعلى رأسها عيد المولد النبوي الشريف. قال الحسين وجاج: "تعتبير المدارس العتيقة قديما بمثابة الجامعات، فهي تزود المجتمع بمختلف الأطر التي يحتاج إليها في مختلف الميادين، أدباء وفقهاء وعلماء وقضاة وكتابا...، وتطبعهم بطابع النبل والإيمان، وتجعل كل من تربي بأحضانها ملتزما بالسلوك الإسلامي، منقادا لخلق القرآن، ومحافظا على حقوق الإنسان وطموحا إلى التفوق في العلوم والعرفان، ومتشبثا بأدب التراحم والإيثار والاتزان، ومخلصا لشؤون العدل والفضل، ونشر أولوية الأمن والأمان (وجاج، الحسين 2000: 9)."

الدور الاجتماعي والإصلاحي، من يمعن النظر في تاريخ المدارس العتيقة بسوس فسيجد أن لها دورا اجتماعيا وإصلاحيا كبيرا على جميع المستويات والأصعدة،كمساهمة علمائها في استقرار البلد، وإحلال الأمن والسلام في ربوعه، ووقف الفتن والقلاقل والحروب، وإصلاح ذات البين بين القبائل والعشائر والأسر المتناطحة فيما بينها لأتفه الأسباب، من خلال ما يبثونه من دروس، وما يترجموه من كتب دينية من اللغة العربية إلى اللغة الأمازيغية. يقول العلامة اليزيد الراضي عن الدور الإصلاحي للمدارس العتيقة: "هناك أمور كثيرة تدل على عناية خريجي المدارس العتيقة بقضايا الأمة، ومن ذلك: الإصلاح بين الناس، وإطفاء الفتن التي تشتعل

بين الأفراد والجماعات، ونصح الحكام وإرشادهم لالتزام العدل والرفق بالرعية، وإرشاد العامة ونصحهم، والسعي في عمارة المساجد والمدارس، والسعي في جمع الكلمة وتوحيد الصف (الراضي، اليزيد 2005: 43)."

الدور التأطيري والتكويني. من بين الأدوار التي تؤديها المدرسة العتيقة دور تكوين الوعاظ والمرشدين، والفقهاء والعلماء، والمدرسين والأساتذة؛ لتحمل مسؤولية التوعية والوعظ والإرشاد والتكوين والتأطير، ومساعدة الحكومة على أداء أدوارها الطبيعية، وقد خرجت المدرسة العتيقة كثيرا من العلماء والأطر الكفئية، وذلك لمزاولة المهام المنوطة بهم، كممارسة الإمامة والخطابة والفتيا والتوثيق والعدالة والقضاء والتدريس، ومزاولة المهام الإدارية في كل مدن المغرب وقراها القاصية والنائية (حمداوي، جميل 2010: 46).

الدور الكفاحي والجهادي. لا يخفى ما للمدارس العتيقة السوسية من مساهمة كبيرة في الذود عن حياض البلد، وقرع الغزاة المحتلين، وقد وقف علماء هذه المدارس في وجه فرنسا وإسبانيا في القرن التاسع عشر، إبان الحماية، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر هؤلاء الشيوخ المقاومين: سيدي الحاج الحبيب البوشواري، وسيدي المحفوظ الأدوزي، وسيدي الطاهر الإفراني، وسيدي عمر المتوكل الساحلي، وغيرهم (الصالحي، محمد 2010: 203).

ولقد استعانت السلطة المركزية بعلماء سوس إبان حرب تطوان؛ لحث المواطنين المغاربة في كل مكان للذب عن سيادة الوطن. يقول المختار السوسي في هذا الشأن: "عندما ابتلي المغرب سنة 1276هـ بالقضية التطوانية، قام علماء جزولة الأساتذة: الحسن بن أحمد التمكدشتي، والحاج أحمد الجشتيمي، وأحمد بن إبراهيم السملالي، والحسين الأزاريفي، والعربي الأدوزي، ومحمد بن علي اليعقوبي، ومحمد بن صالح التدرارتي الباعمراني، وأمثالهم ينادون في الناس ليلبوا دعوة السلطان، لينفروا خفافا وثقالا، للذود عن الكيان، وقد اطلعنا على الرسائل التي وجهها المولى محمد بن عبد الرحمن إلى هؤلاء العلماء سيسميهم بأسمائهم(السوسي، محمد المختار. سوس العالمة، 1960: 23)."

النظام الداخلي لمدارس التعليم العتيق الحر بسوس

تستقبل المدارس االعتيقة العشرات من طلبة القرآن الكريم، كما تفتح أبوابها أمام طلبة العلم الشريف طيلة السنة، وتوفر للجميع كل الوسائل الضرورية من مسكن ومأكل ومشرب، لطلب العلم ولحفظ القرآن الكريم، فيستطيع أي طالب أن يلتحق بها للدراسة – بغض النظر عن عمره ومستواه الدراسي– متى شاء، وفي أي وقت من السنة، بشرط أن يكون حافظا للقرآن الكريم، وهذا الشرط يعتبر في المدارس العتيقة كلها بلا استثناء شرطا أساسيا، ولا يسمح للطالب بدراسة الفنون إلا بعد اجتيازه الامتحان في حفظ القرآن الكريم كاملا، وعندما يرى الطالب نفسه أهلا لدراسة العلم، يذهب إلى المدرسة للقاء المسؤول وهو الفقيه، ويقوم هذا الفقيه بإجراء الاختبار له في القرآن الكريم، وبعد التحقق من حفظه يقبله طالبا عنده، ويلحقه بالمجموعة الدراسية التي تناسبه، ويطلعه على أعراف المدرسة، التي تعتبر بمثابة قانون، يتحتم على الكل الخضوع له، وإلا طرد من المدرسة، ويأمره بأن يحترمها. ومجمل هذه القوانين تتلخص في النقاط التالية(عبد الله ريس 2015: 19):

1. محافظة كل من تحتوي المدرسة على الصلوات الخمس، في مسجد الجماعة، ولا يسمح لأي أحد بالتخلف عنها إلا لعذر شرعي مقبول.
2. ملازمة حضور الدروس الرسمية اليومية، بعد تحضير المتن، وتقريره في الألواح، أو في الدفاتر، أو شرح المتن، وذلك بحسب مستويات الطالب ومراحله الطلبية، وحضور إعراب جملتين أو ثلاث، من أول حزب المساء، إلا لعذر بين كالمرض.
3. وجوب القيام بالأعمال التناوبية بين الطلبة، إن كان هناك ما يقتضي التناوب، من تحضير الطعام، وتنظيف المدرسة، وإيقاظ الطلبة للصلاة، وخدمة الضيوف، وما إلى ذلك من حاجيات رسمية.
4. تجنب ارتكاب ما من شأنه أن يخل بنظام المدرسة وقانونها، من الإخلال بوجوب احترام الأطر التعليمية والتربوية، – وعلى رأسهم فقيه المدرسة الذي يعتبر الأب الروحي للطلبة – وتنفيذ أوامر المسؤول وتحتم استئذانه في الذهاب إلى أي مكان خارج المدرسة، ويجب احترام الضيوف وجيران المدرسة في أموالهم وأهليهم، والتخلق بجميل الأخلاق من الصبر والحلم والوقار والصدق والأمانة.
5. الحفاظ على تلاوة الحزبين الراتبين؛ الصباحي والمسائي، بشكل جماعي منتظم بعد الفراغ من صلاة الصبح مباشرة، وعقب صلاة المغرب والرواتب التابعة لها.
6. مشاكل الطلبة والنزاعات بينهم وبين غيرهم، يختص الفقيه بحلها، والبث فيها بما يراه صالحا لحسم مادة النزاع من أصله، ما لم يكن قتلا أو جرحا، فيحيله على الجهات المختصة كالمحكمة.

يتميز نظام التعليم العتيق بصفة عامة، عن نظام التعليم المعاصر، بكون المسؤول الأول عن المدرسة وهو الفقيه، أستاذا ومربيا في الوقت نفسه، يلقن الطلاب العلوم الشرعية واللسانية والعقلية، ويربي فيهم الالتزام بالأخلاق الحميدة، واحترام الفقهاء المدرسين والأساتذة، والعناية بنظافة المدرسة، وتلميع صورتها، وصيانة أوانيها وكتبها، كما كان يدربهم على الانضباط داخل المدرسة أخلاقا وسلوكا وتربية، ويأمرهم بالجد والاجتهاد في العلم والاكتساب والتحصيل، ويحبب إليهم طلب العلم والأدب والمعرفة.

نظام التعليم العتيق الحر ومناهجه بسوس

لمدارس العتيقة الســوســية تاريخ مجيد، في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الشــرعية واللغوية، من هذه المدارس ما اندمج فيها التعليمان، القرآني والعلمي بانســجام ووئام، ومنها ما اختصــت بتحفيظ القرآن الكريم حفظا ورسما وضــبطا وقراءات. ومنها ما اختصت بتعليم الفنون العلمية. وقد ساهمت هذه المدارس في غرس بذور الثقافة العربية الإسلامية في جبال سوس وسهولها، وأنجبت فحولا وجهابذة في القرآن والعلم والأدب، رغم ما كانت عليه من بساطة في الوسائل، وشظف في العيش، ووعورة المسالك.

كانت جميع المدارس العتيقة تعتمد نظام التعليم العتيق الحر فقط، والذي يعد أقدم أنواع التعليم، التي عرفها المغاربة، إلى أن در ظهير ريف سنة 2002م، يقضي بتطوير التعليم العتيق وتنظيمه، والذي نفذته وزارة الأوقاف منذ 2004م، فاحتضنت هذا النظام الجديد معظم المدارس العتيقة، وأبى الباقي منها اعتناق واتباع هذا النظام (حمداوي، جميل 2010: 102).

نظام التعليم العتيق الحر، وهو النظام السائد في جميع المدارس العتيقة السوسية بلا استثناء، ولا يختلف في عمومه من مدرسة إلى أخرى، إلا في بعض الجزئيات، تبعا لشخصية الأستاذ وتخصصه واجتهاده. قال الفقيه عبد الله ريس: "ومهما قلنا إن المدارس لا تختلف من حيث هذه الفنون على الوجه العام، فإنها غير متنائية عن اختلاف ما، فيما يتعلق بتدريس المتون المعتمدة في الفنون، إذ قد تخالف مدرسة مدرسة أخرى في اختيار متن معين، بدل ما تختاره مثيلتها، وإن كان الغالب محل اتفاق فيها، بعد حفظ القرآن الكريم (ريس، عبدالله 2015: 12) ". فمن حيث الاتفاق كونه تراثي تقليدي أصيل، يعتمد في المقررات الدراسية على الأنصبة، وتنطلق الدروس فيه من المدونات والمنظومات التعليمية، وقراءة الكتب وتصفح نصوصها بالشرح والتفسير والتوضيح ومناقشة الأفكار، وللحفظ بالعتيقة دور أساسي في تحصيل العلم والمعرفة، حيث يقوم الطالب كل صباح بكتابة ما تيسر من المتون العلمية على ظهر لوحه، ثم ينزوي في مكان ما، يقرأه مرة تلوى الأخرى إلى أن يحفظه على ظهر قلب، ويشمل هذا النظام على برنامجين اثنين: وهما:

1. برنامج تحفيظ القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، أو بعدة روايات، والنظام المتبع في هذا البرنامج، تتساوى فيه جميع المدارس القرآنية السوسية، حيث يبدأ الطالب القرآني عمله اليومي، بعد قراءة الحزب الراتب الصباحي مباشرة، فيقرأ لوحه حتى الساعة السابعة والنصف، ثم يعرضه على المقرئ، فإذا استظهره على ظهر قلبه، وحذقه يقوم بعد ذلك بمحوه، وأثناء انتظار اللوح ليجف، يراجع حزب لوحته الذي هو فيه، ويتناول وجبة الإفطار، ثم يقوم بكتابة لوحه إما عن ظهر قلبه، إن كان ممن حفظ القرآن، وإما بإملاء أحد زملائه المتفوقين، بعد الانتهاء من كتابة اللوح، يضعه في مكان مخصص للألواح بمجلس المقرئ، ليقوم بتصحيحها.

وفي أثناء انتظار تصحيح الألواح، يقوم الطالب رفقة زملائه بقراءة جزأين والنصف من القرآن الكريم، قراءة جماعية مرتلة، وهي عادة دأب عليها طلاب القرآن في المدارس القرآنية بسوس، وفي الساعة الثانية عشرة والنصف زوالا، يتناولون وجبة الغذاء معا، وتنتهي حصة الصباح بصلاة الظهر في المسجد جماعة، وتبدأ الحصة المسائية في الساعة الثانية والنصف ظهرا بقراءة ألواحهم، حتى قبيل المغرب، ثم يخرجون للاستجمام حول المدرسة، ومنهم من يتسلق الجبل ليستنشق الهواء النقي، بعد ذلك يتوضأون ويتهيأون لأداء صلاة المغرب جماعة في المسجد، وقراءة الحزب الراتب، بعد ذلك يجتمعون في المجلس لقراءة ثلاثة أحزاب؛ حزب الصباح الماضي، وحزب المساء، وحزب الصباح الموالي، تنتهي قراءة هذه الأحزاب عند أذان صلاة العشاء، وبعد أن يصلوا صلاة العشاء جماعة، يذهبون إلى المطعم لتناول وجبة العشاء، ثم ينزوي كل طالب في زاوية وينكب على قراءة لوحه، ومنهم من يراجع أحزابه إلى الساعة الثانية عشرة ليلا. (السوسي، محمد المختار (مدارس سوس العتيقة. د،ت:16 – 17).

2. برنامج تعليم العلوم الشرعية واللغوية، ويبدأ اليوم الدراسي في هذا البرنامج، بهذه المدرسة، من الفجر، ويستمر إلى الليل، يتناوب فيه الطلبة على مجلس الشيخ حسب طبقاتهم، هكذا ديدنهم لا يعرفون الراحة، ولايتوقفون عن الدراسة إلا في فترات الوجبة والصلاة، وفي أيام العطل التي تتخلل السنة الدراسية، ومن الطلبة من يسافر خلال هذه العطل إلى بلده، أو يزور صديقا له في مدرسة أخرى، أو يذهب إلى السوق للتسوق وشراء مستلزمات الحياة، أو الكتب، ومنهم من يبقى في المدرسة

لاغتنام الفرص في المطالعة والســـرد، أو في حفظ المتون، أو ما شـــابه ذلك. وهذه لائحة العطل الرسمية في المدارس العتيقة (الإلغي، صالح بن عبد الله 90:1993):

عدد	نوع العطلة	تاريخها	مدتها
1	أسبوعية	من عصر يوم الأربعاء إلى عصر يوم الجمعة	يومان
2	دينية	عيد الفطر	أسبوعان
3	دينية	عيد الأضحى	أسبوعان
4	دينية	ذكرى ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم	أسبوعان
5	دينية	عيد عاشوراء	يومان

تنقسم المراحل التعليمية في هذا البرنامج إلى ثلاثة مراحل، وهي (ريس، عبدالله 2015: 23 – 30):

المرحلة الابتدائية، يبدأ الطالب العتيقي دراسته في هذه المرحلة، بعد أن يتم حفظ القرآن الكريم، حفظا متقنا، في الكُتَّاب، أو في المدرسة القرآنية، وتعد المرحلة التي قضاها الطالب في حفظ القرآن الكريم بمثابة المرحلة الأولية. أما في هذه المرحلة فإن الطالب يقوم بحفظ عدة متون، في فنون مختلفة كالفقه والنحو واللغة والأدب، وغيرها، إن لم يكن قد حفظها كلها أوبعضها في المرحلة السابقة، ثم يدرسها مع مجموعة من أترابه على الفقيه، ومن تلك المتون ما يلي (ريس، عبدالله 2015: 30 – 44):

متن الأجرومية، وهي مقدمة في علم النحو، لصاحبها محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الملقب بابن آجروم، ويهتم الطالب أثناء دراسته لهذا المتن بحفظ مجموعة من الحقائق والقواعد النحوية، ويستعين بفهم هذه المقدمة بشرح خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري، أو شرح حسن بن علي الكفراوي، أو التحفة السنية لمحمد محي الدين عبد الحميد.

منظومة المجرادية، في بيان أحكام الجمل، والجار والمجرور، والظرف، لناظمها أبي عيد الله محمد السلاوي، ويستعان على فهمها بشرح سيدي إيبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي السوسي، أو بشرح علي بن أحمد الرسموكي السوسي.

منظومة متن الزواوي، في قواعد الإعراب، من الجمل، والجار والمجرور، والظرف، ووجوه المعاني لمجموعة من الكلمات العربية المتداولة المهمة، لمؤلفها زيان بن فائد الزواوي، ويدرس هذا المتن بشرح المرشد الآوي ومعين الناوي لفهم قصيدة الزواوي، ليحي بن محمد بن أحمد البعقيلي السوسي.

منظومة متن لامية الأفعال، في قواعد التصريف، لكاتبها عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، وتدرس بشرح محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي، الشهير ببحرق، وبحاشية السيد محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج الفاسي، وبشرح يبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي.

منظومة متن المرشد المعين، في مبادئ: العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي في العبادات، والتصوف السني الجنيدي، لمؤلفها عبد الواحد بن أحمد بن علي الفاسي، ويدرس هذا المتن بشرح محمد بن أحمد بن محمد ميارة الفاسي، المسمى: الدرر الثمين والمورد المعين، أو بشرح محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج الفاسي. (السوسي، محمد المختار (مدارس سوس العلمية د،ت: 60 – 61).

متن الأربعين النووية، في الحديث الشريف، لمؤلفه يحي بن شرف النووي، بشروح قديمة وحديثة، منها: الفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيثمي، وبشرح الأربعين حديثا النووية لابن دقيق العيد، وغيرها.

منظومة البيقونية، في علم مصطلح الحديث، لمؤلفها عمر بن محمد بن فتوح الدمشقي، ويستعين الطالب في فهمها بعدة شروح قديمة وحديثة، منها: شرح الزرقاني، مع حاشية الأجهوري، والتوضيحات البسيطة، للشيخ سعد بن عمر الفوتي التيجاني، وغيرها من الشروح.

عدة قصائد في الأدب واللغة والأمثال والمدائح النبوية والشمائل المحمدية، كقصيدة بانت سعاد لناظمها كعب بن زهير، وقصيدة، برح الخفاء لصاحبها: الطاهر بن محمد الإفراني السوسي، وقصيدة، نصيحة الإخوان لابن الوردي، والبردة والهمزية لناظمهما: محمد بن سعيد البوصيري، ويتم دراسة القصيدتين بعدة شروح، منها: شرح البردة لمؤلفه خالد بن عبد الله الجرجاوي، وحاشيته للشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري. وشرح الهمزية؛ لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي، والمنح المكية في شرح الهمزية، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، وتقريرات الشيخ محمد بن عبد الواحد بن الحسن النظيفي السوسي.

منظومة الاستعارات في علم البيان، للشيخ محمد بن الطيب بن كيران الفاسي، بشرح البوري على منظومة ابن كيران، للشيخ أحمد بن الخياط، وشرح مخطوط للشيخ العربي الأدوزي السوسي.

المرحلة الثانية، يمر الطالب العتيقي في هذه المرحلة، بمتون علمية وأدبية أخرى تساهم في تكوينه تكوينا علميا وأدبيا، وتدفع به إلى الأمام المعرفي، من هذه المتون(السعيدي، المهدي بن محمد 2006:263 – 268):

منظومة الألفية، في علمي النحو والصرف، لناظمها: جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، ويستعان على استثارة معاني هذه المنظومة وشواهدها الوافرة، بشروح وحواشي عدة، منها: البهجة المرضية على ألفية ابن مالك، للإمام السيوطي، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل.

متن الرسالة في فقه الإمام مالك بن أنس، لمؤلفه: عبد الله بن عبد الرحمن الشهير بابن أبي زيد القيرواني، وتدرس بعدة شروح، منها: مرشد المبتدئين إلى معرفة معاني ألفاظ الرسالة؛ لأبي محمد الكرامي السملالي، وكفاية الطالب الرباني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأبي الحسن علي بن محمد المنوفي، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، لأبي الحسن علي بن أحمد العدوي، وشرح الرسالة للقاضي عبد الوهاب البغدادي، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني لابن ناجي التنوخي القيرواني، وشرح سيدي أحمد زروق، وغيرها من الشروح. ويدرس الطلبة العتيقيون أيضا في هذه المرحلة الأبواب الأولى في العبادات، من كتاب المختصر، لمؤلفه الشيخ خليل بن إسحاق المصري، بشرح أبي البركات سيدي أحمد الدردير، وبحاشية الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي.

منظومة جوهرة التوحيد، في عقائد أهل السنة والجماعة من الأشاعرة، لصاحبها: إبراهيم بن إبراهيم ابن حسن اللقاني، يدرسها الطلبة العتيقيون بشروح، منها: شرح الشيخ إبراهيم البيجوري.

عدة كتب وقصائد في الأدب واللغة، منها: مقامات الحريري، وتدرس بشرح أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي. ولامية العرب؛ للشاعر الجاهلي عمرو بن مالك الأزدي، الشهير بالشنفرى. ولامية العجم، للشاعر مؤيد الدين الحسين بن علي الأصفهاني، الشهير بالطغرائي. والشمقمقية، لناظمها: أبي العباس أحمد بن محمد التواتي الفاسي، وتدرس بشروح، أوفاها شرح أبي العباس أحمد بن خالد السلاوي. ومثلث قطرب، ومقصورة ابن دريد، والمعلقات السبع لمجموعة الشعراء الجاهليين. جميع هذه القصائد تحفظ على ظهر القلب قبل دراستها، ويسردون كذلك المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الإشبيهي (السوسي، محمد المختار. مدارس سوس العتيقة د،ت: /67 – 68).

منظومة الخزرجية في علمي العروض والقوافي، المسماة: بالرامزة وهي لعبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي، تدرس بشرح أبي يحيى زكرياء بن محمد الأنصاري.

منظومة الحمدونية، في العروض والقافية، لحمدون بن عبد الرحمن الفاسي، وهي أسهل من الرامزة وأبسط منها، ويدرسها الطلبة بشرح نجل الناظم، وهو: سيدي محمد الطالب بن حمدون الفاسي.

متن الورقات، في مبادئ علم أصول الفقه لمؤلفه: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري العراقي، بشروح، أوفاها: دروس قرة العين بشر ورقات إمام الحرمين، لمحمد بن محمد الحطاب، وربما يدرسون بدل هذا المنثور، نظمه للشيخ يحيى بن شرف العمريطي.

كتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، لمحمد بن أحمد بن شريف التلمساني، وهو مؤلف يهتم بالتوضيح والتمثيل في جزالة التعبير، يستعان في فهمه بعدة شروح، منها: شرح سيدي مولود السريري السوسي.

منظومة السملالية، في مبادئ علم الحساب؛ الجمع، والطرح، والضرب، والقسمة، وطرق ذلك على الطريقة القديمة، لناظميها: سيدي إبراهيم السملالي السوسي، وسيدي أحمد ابن سليمان الرسموكي، بدأ نظمها الأول فمات ولم يكمله، وبعد قرن ونصف القرن أتمه الثاني، وتدرس بشرح الناظم الثاني نفسه.

منظومة السلم المنورق في مبادئ علم المنطق، لناظمها: عبد الرحمن بن محمد الأخضري، يعتمد الطالب في فهم هذه المنظومة على على بعض الشروح والحواشي، كشرح السلم لأحمد الملوي، وحاشية الصبان على شرح الملوي، وإيضاح المبهم من معاني السلم، لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري، وشرح القويسني على السلم، للشيخ حسن درويش القويسني، وتدرس في العتيقة أيضا رسالتان في المنطق أحيانا، وهما: رسالة في المقولات العشر لمحمد بن إبراهيم الطرابلسي، والرسالة العضدية للشيخ عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الفارسي.

منظومة الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، في الفنون البلاغية الثلاثة، المعاني والبيان والبديع، لناظمها: عبد الرحمن بن محتمد الأخضري، بشرح أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري.

الأرجوزة الرسموكية في الفرائض، المسماة: الجواهر الكنونة في صدف الفرائض المسنونة لسيدي أحمد بن سليمان التاغاتيني الرسموكي السوسي، وتدرس هذه المنظومة بشرح الناظم نفسه المسمى: إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة، أو بشرح دليل الفارض ومفتاح الفرائض، لسيدي صالح بن عبد الله الإلغي السوسي.

المرحلة الثالثة: وهي مستوى النجباء، حيث الدراسة العليا تتضمن في مقرراتها المتون والكتب الموسعة والتكميلية، وتعتبر مرحلة الاستيعاب والتعمق المعرفي في الفنون المختلفة، إذ يدرس فيها الطالب فنونا جديدة، ويعيد فيها قراءة بعض المتون التي درسها في المرحلتين السابقتين، لكن بشروح مطولة، ويتم من خلالها إعداد الطالب للتخرج، والمتون التي يتلقاها الطالب في هذه المرحلة هي:

المبنيات الجشتيمية، للشيخ أبي العباس الجشتيمي السوسي، وتدرس بالشرح الكبير للشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الأزاريفي. ويعتنى بهذه المنظومة تعليما وتعلما أكثر من البراغية والفيلالية.

المبنيات البراغية، للشيخ محمد أبراغ الإفراني السوسي، يستعين الطلبة على فهمها بشرح الناظم نفسه. وتدرس هذه المنظومة أكثر من الفيلالية.

المبنيات الفيلالية، لمؤلف مجهول ينسب إلى تافيلالت المغربية، وهي مخطوطة، تدرس بتقريرات من الفقيه. ويعاد كذلك في هذه المرحلة قراءة ألفية ابن مالك، بشروح مطولة، كمنهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، وشرح المكودي على ألفية ابن مالك، وغيرها من الشروح والحواشي..

الأبواب الأخيرة من مختصر الشيخ خليل، في الفقه المالكي، بشروح وحواشي مختلفة، كشرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل للشيخ عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني، وحاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني، وشرح لخراشي على مختصر سيدي خليل، لمحمد بن عبد الله الخرشي، ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل لمحمد الرعيني الحطاب.

تحفة الحكام بمسائل التداعي والأحكام المشهورة بالتحفة الزقاقية، في القواعد الفقهية، لعلي بن القاسم التجيبي، بشرح سيدي أحمد بن علي المنجور المكناسي الفاسي، وبشرح سيدي محمد بن علي الإيلالني السوسي.

تحفة الحكام في نكث العقود والأحكام، المشهورة بالتحفة العاصمية، في القواعد الفقهية أيضا، لمحمد بن محمد الأندلسي، بشرحي التاودي الفاسي والتسولي.

عدة كتب أدبية ولغوية، ودواوين شعرية، في الأدب العربي، وتتميز المدارس العتيقة ذات الاتجاه الأدبي، بإدخال المواد الأدبية، في الأنصبة اليومية والأسبوعية، ضمن المقررات الدراسية، وهذا بعض ما يدرس في هذه المرحلة من المنثور والمنظوم، سواء داخل النصاب الدراسي، أوخارجه، مما يقرأه الطلبة سردا، أمام الشيخ، أو فيما بينهم: الفصيح لأبي العباس ثعلب، ونظمه موطأ الفصيح، لابن المرحل المالقي الأندلسي، والكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، وإكمال الإعلام بتثليث الكلام، لمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، وصبح الأعشى لأحمد بن علي القلقشندي، ونفح الطيب للمقري التلمساني، وديوان المتنبي، والمعسول للمختار السوسي، وغيرها من كتب اللغة والأدب.

تفسير القرآن الكريم، بشروح مختلفة، كتفسير الجلالين؛ المحلي والسيوطي، وتفسير القرطبي الأندلسي، وتفسير ابن عطية الأندلسي، وتفسير النسفي، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي الأندلسي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وغيرها من التفاسير، وتدرس هذه التفاسير دراسة ومطالعة.

علوم القرآن، ويعتمد في دراسته على أحد هذه الكتب: كتاب البرهان في علوم القرآن لعبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، أو الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن السيوطي، أو مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني.

الحديث الشريف، في كتاب يختاره الشيخ أو الطلبة، وغالبا ما يكون إما: صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، بشرح إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القسطلاني، وإما صحيح مسلم، بشرح المنهاج لمحي الدين يحيى بن شرف النووي، وإما الموطأ للإمام مالك، بشرح سيدي محمد الزرقاني، أو بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، لابن حجر العسقلاني، بشرح العلامة الصنعاني؛ سبل السلام شرح بلوغ المرام، أوغيرها من أمهات الكتب.

علق سيدي عبد الله ريس على تدريس الحديث بالمدارس العتيقة قائلا: "وقد كانت عادة الفقهاء المدرسين أن يهدوا البخاري هذا في الرمضانيات، تبركا وتقليدا لشيوخهم الأفاضل، واليوم أصبحت بحمد الله بعض المدارس المتحركة المتحررة، تدرج من خلال دروسها الرسمسة فن الحديث، إما بالصحيحين، أو الموطأ، أو سبل السلام، أو نيل الأوطار، وغيرها من كتب الحديث الطافحة بها الخزانات والمكتبات (عبد الله، ريس. المدارس العلمية وخدمتها للعلوم العربية والإسلامية، لقاء آيت وافقا 1996: 88)."

متن نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، في علوم الحديث: لابن حجر العسقلاني، ويعتمد الطلبة في فهم هذا المتن على شرح نزهة النظر بشرح نخبة الفكر للمصنف نفسه.

منظومة المقنع في اختصار نظم أبي مقرع في علم التوقيت، لمؤلفه: المرغيتي السوسي، وهي اختصار لمنظومة مطولة لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق البطيوي، وتدرس بشرحيْ المختصِر سيدي محمد بن سعيد المرغيتي، الأول: الممتع في شرح المقنع، وهو كبير، والثاني: المطلع على مسائل المقنع، وهو صغير، وبشرح المقنع بتحقيق المطلع على مسائل المقنع، لسيدي صالح بن عبد الله الإلغي السوسي.

متن جمع الجوامع، في علم أصول الفقه، لصاحبه: أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، وهو مؤلف نثري في هذا العلم الجليل، يدرس بشرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي.

متن تلخيص المفتاح، في علم البلاغة، لمؤلفه: محمد بن عبد الرحمن القزويني، وهو مؤلف نثري دقيق في هذا الفن، يستعين الطالب في فهم هذا المتن، على هذه الشروح: شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، لمؤلفه: مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني. أو عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لصاحبه: أحمد بن علي بن عبد الكافي، بن علي بهاء الدين السبكي. أو مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن يعقوب المغربي.

صفات الطالب العتيقي

اكتسب الطالب العتيقي من المدسة العتيقة – علاوة على العلوم والفنون والمعارف المتنوعة الغزيرة – صفات حميدة، وآدابا حسنة جمة، وأخلاقا فاضلة كثيرة، ميزته عن بني جنسه من عموم الناس، ورفعت قدره وشأنه بين أقرانه في محيط مجتمعه، ومن هذه الصفات ما يلي (عبد الله، ريس 2015: 38 – 43;سكنفل، عبد الله 2015: 14 – 15):

التزام الصلاة في المسجد جماعة، قد وفق الله تعالى الطالب العتيقي لأداء الصلوات الخمس في المسجد جماعة، ويرجع الفضل في ذلك بعد الله إلى الفقيه، الذي وجهه في أول يوم التحق فيه بالمدرسة إلى ضرورة التزام الصف.

مصاحبة الأخيار، واجتناب الأشرار، عملا بالمقولة الشائعة: "قل لي من تعاشر أقل لك من أنت"، ولأن الطباع تسرق الطباع، والتشبه بالآخر جبلة سائدة في حياة البشر، وبقدر صلاح الزميل بقدر ما تتحقق السلامة من آفة الفشل.

الالتزام باللباس الإسلامي المنضبط بضوابط الشرع، من ستر العورة والبدن، مع موافقة البيئة والعرف والتقاليد المغربية الأصيلة، وذلك من خلال الجلباب والقلنسوة، بعيدا عن لباس الشهرة أو الشبهة، من أنواع الألبسة المستوردة والفاضحة.

الوقار والحشمة، ورعاية حرمة الشيخ، لازمت هذه الصفة الطالب العتيقي، ملازمة الظل لشخصه، حتى أصبحت سمته وعلامته، وقل أن تنفك عنه ولو غير مسار حياته، وذلك بسبب جلالة المكان الذي درس فيه وطهارته، وهيبة الشيخ المربي، الذي يعظمه الطلاب أيما تعظيم، ويقدرونه أيما تقدير، فيجلسون عنده وكأن الطير على رؤوسهم، فلا تراهم يرفعون الصوت أمامه، أو يجرؤون على سؤاله أو استفساره، فضلا عن مناقشته.

الوسطية والاعتدال، إن الطالب العتيقي يتميز عن غيره من طلاب المؤسسات الحديثة، كالمدارس العصرية والجامعات، بالوسطية والاعتدال في جميع أموره، وخاصة في معاملته مع الغير، فلا غلو عنده ولا تطرف، ولا تكلف عنده حد الإفراط، ولا تهاون منه حد التفريط، لا يرمي أحدا بكفر أو زندقة، ولا يرجو نفعا من أحد حيا كان أو ميتا.

التلخيص

يتلخص من هذا الجرد التاريخي والاستقصاء الموضوعي للتعليم العتيق الحر بسوس المغربية، أن لهذا النوع من التعليم بشقيه؛ القرآني والعلمي مكانة عظيمة في نفوس المجتمع السوسي، وأن مدارسه أصيلة شعبية محضة، لا دخل للحكومات التي تعاقبت في حكم المغرب فيها، أسستها القبائل وبنتها بسواعدها وأموالها لتؤدي الأغراض الدينية والتعليمية والتربوية والاجتماعية، ووفرت لطلبتها وساكنيها وضيوفها جميع المستلزمات الضرورية، من مسكن ومأكل ومشرب، وتقدم لشيوخها رواتب شهرية رمزية. كما أنها تتلقى المعونات والمساعدات من المحسنين والمجتمع والقبائل، والزكوات من أغنياء القطر.

ولقد أدت هذه المدارس أدوارا جد مهمة؛ دينية، وروحية، وتعليمية، وتربوية، واجتماعية، وجهادية، وأن نظامها الداخلي يخضع للشيوخ، وتفتح أبوابها لطلبة العلم وحفاظ القرآن طيلة السنة، كما أن يومها الدراسي يبدأ بعد صلاة الصبح مباشرة، ويستمر إلى منتصف الليل. أما نظامها التعليمي فهو تقليدي موروث أبا عن جد، يعتمد على الحفظ والتلقين والاستظهار والمذاكرة والتوطئة، وأمهات الكتب، ويتصف محتواها الدراسي بالطابع الموسوعي، لشموله مختلف العلوم الشرعية والعقلية واللغوية والأدبية.

المراجع

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. 2000. *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. تح: خليل شحادة. ج1. بيروت: دار الفكر.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. 2010. *لامية الأفعال بشرح ابن الناظم*. القاهرة: دار عمر بن الخطاب.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. 1999. *لسان العرب*. تص: أمين محمد عبد الوهاب. ومحمد الصادق العبيدي. ج6. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو القاسم، عبد الله جعفر. 2007. *مدرسة أنزا العتيقة، بين الأصالة والمعاصرة*. الدار البيضاء: مطبوعات السنتيسي.

أسكان، الحسين. 2004. *تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط*. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

أفا، الحسين. 1996. *شعر الحسن البونعماني*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

أفا، عمر. 1988. *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر سوس 1822 – 1909م*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

الأحمر، عبد السلام. 2005. حوار مع الدكتور اليزيد الراضي حول واقع التعليم العتيق. *مجلة تربيتنا*. المغرب: ع5، ماي.

الإلغي، صالح بن عبد الله. 1998. *المدرسة الأولى وصف شامل للتعليم الأولي بامدرسة القرآنية في سوس نموذج مدرسة إلغ*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

البخاري، محمد بن إسماعيل. 2002. *صحيح البخاري*. دمشق: دار ابن كثير.

البعقيلي، خطاب عبد بن صالح. 1996. المدارس العتيقة وتفقيه العامة. *المدارس العتيقة وخدمتها للعوم العربية والإسلامية لقاء آيت واقفا، 1996م*. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

التازي، الحسن بن محمد. 1983. *وصف إفريقيا*. ترجـ: محمد حجي، ومحمد الأخضر. ج1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

التجاجتي، يحي أحمد بن علي. 2008. *مآثر السلف ومفاخر الخلف مدرسة آيت واقفا*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. 1977. *معجم البلدان*. ج3. بيروت: دار صادر.

الراضي، اليزيد. 2010. *علماء سوس وقضايا الأمة، إسهام علماء سوس في بناء الدولة المغربية*. الرباط: إدكل للطباعة والنشر.

السعيدي، المهدي بن محمد. 2006. *المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الإلغية بسوس نموذجا*. المحمدية: مطبعة فضالة.

السوسي، محمد المختار. 1960. *سوس العالمة*. المحمدية: مطبعة فضالة.

السوسي، محمد المختار. (2012). *نهضة جزولة العلمية والدينية في اليوم*. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

السوسي، محمد المختار. (1989). *رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر*. طنجة: دار الطباعة للشمال.

الصالحي، محمد. (2010). نماذج من صمود وجهاد علماء سوس ضد الفتانين والمستعمرين الطغاة. إسهامات علماء سوس في بناء الدولة المغربية. ندوة تكريمية للأستاذ الفقيه سيدي محمد بن الحسين الهاشمي الأدوزي. الرباط: إدكل للطباعة والنشر.

المراكشي، عبد الواحد. (1978). *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*. تح: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء: دار الكتاب.

برادة، رشيدة. (2007). التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب. *مجلة علوم التربية*. ع33. ص 14-16.

حمداوي، جميل. (2010). *المدارس العتيقة بالمغرب*. الرباط: مكتبة المعارف.

ريس، عبد الله. (2015). *من تاريخ مدرسة إكضي إنتاجها العلمي وإشعاعها الثقافي*. الدار البيضاء: دار الكتاب.

ريس، عبد الله. (1996). المدارس العتيقة والمناهج الدراسية. المدارس العلمية وخدمتها للعلوم العربية والإسلامية. لقاء آيت وافقا 1996م. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

سكنفل، عبد الله. (2005). الطالب العتقي ومميزاته. *مجلة التعليم العتيق*. ع1. صـ14 – 15.

مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج. (2006). *صحيح مسلم*. تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي. جـ2 .الرياض: دار طيبة.

كنون، عبد الله. (1960). *النبوغ المغربي في الأدب العربي*. بيروت: دار الكتاب العربي.

لمين، مبارك بن الحسن. (2013). *العلماء في سوس قضايا وأعلام*. الرباط: مطبعة الأمنية.

وجاج، الحسين. (2000). التعليم العتيق في سوس ودوره في نشر العلم والدين والتزامه ببيعة أمراء المؤمنين. *مجلة دعوة الحق*. ع353. صـ 45-50.